آليات اشتغال نقد النقد في النص النقدي

Mechanisms of the work Meta criticism in the critical text

مصطفى يونس حسن سعد
elqazzazm@gmail.com
أسماء المشرفين: أد./ سامي سليمان أحمد، و أ.د/ حسين حمودة محمد
جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية

تاريخ الاستلام: 2022/09/19 تاريخ القبول: 2022/09/23 تاريخ النشر: 2022/09/30

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن آليات اشتغال نقد النقد في النص النقدي بوصفها تعد دلالة ثانية على الدلالة الأولى التي يصنعها الناقد الأول، كما تعرض وتحاور هذه الدراسة عدة مفاهيم مهمة متعلقة بنقد النقد، كالعقل النقدي والتفكير الناقد والنقد النقدي في سبيل الوصول إلى مفهوم نقد النقد، وتعنى هذه الدراسة بستويات نقد النقد عند جابر عصفور تحديدًا؛ تلك التي اعتمدها في أكثر من دراسة نقد نقدية.

كلمات مفتاحية: نقد النقد، العقل النقدي، النقد الأدبي، التفكير الناقد.

Abstract:

This study tries to reveal the mechanisms of the functioning of Meta criticism in the critical text as it is a second indication of the first indication made by the first critic. Criticism, and this study is concerned with the levels of Meta of criticism according to Jaber Asfour in particular; Those adopted in more than one critical study.

Keywords: Meta criticism, critical mind, Critical thinking, Literary criticism.

مقدمة:

يبدو أن دراسة النقد الأدبي طريق وعرة، وأن نقد النقد –الذي يسعى إلى إنتاج دلالة ثانية على الدلالة النقدية الأولى للناقد الأول- بمثابة مخاطرة غير محسوبة العواقب أو محفوفة بقدر كبير من المخاطر التي قد تبنى على تصور أو فهم خاطئ لكُنْه النظريات أو المفاهيم والمقولات النقدية التي يتبنها الناقد الأول صاحب الدراسة المنقودة أو المدرسة بمنهجية نقد النقد؛ خاصة إن اعتبرنا أن النقد الأدبي يعد نصًا موازيًا للإبداع المكتوب عنه، وذلك إن جاز لنا أن نقول إن النقد يعد إبداعًا على الإبداع، أو أنه الإبداع الموزاي الذي قد يجاور النصوص الإبداعية كالشعر والسرد والنصوص المسرحية وغيرها من الأنواع الأدبية الأخرى مكانة وقيمة، وإذا ما طرق الناقد بابًا جديدًا من أبواب النقد كنقد النقد أو النقد الشارح؛ فإنه يزيد صعوبة ووعورة طريقه نحو هدفه الذي يرمي إليه؛ لذا فثمة حاجة ملحة لدراسة التحولات الكبرى التي حدثت في النقد الأدبي المعاصر، وربما يتم ذلك عبر المساءلة التي ينتقل فيها النقد من كونه نقدًا للأنواع الأدبية المختلفة ليصبح نقدًا للنقد نفسه أو نقدًا للتصورات النقدية والممسارات المنهجية التطبيقية المطبقة بطبيعة الحال على تلك الأنواع الأدبية، مما يجعل دراسة نقد النقد أو النقد الشارح حاجة ملحة لفهم غايات ومقاصد تلك التحولات، والدور الذي يقوم به في مسألة تقييم وتطوير النقد الأدبي.

إن ما يسعى إليه هذا البحث هو دراسة آليات نقد النقد لمساءلة وتفسير ومراجعة مفاهيم أو مقولات أو مناهج نقدية يمكنها أن تطبق على دراسات اتخذت منهجًا بعينه أساسًا نظريًا ومنهجيًا يصلح لدراسة نوعًا أدبيًا أو الأنواع الأدبية بشكل عام، وذلك من خلال عدد من النقاط التي يمكن أن تكون مفتاحًا للولوج إلى عالم الدراسات التطبيقية على الأنواع الأدبية المختلفة من خلال هذا النوع النقدي –نقد النقد- الذي يتصدى بالأساس للنصوص/ المقاربات/ القراءات النقدية بشقيها التنظيري والتطبيقي، أو في شقها

التطبيقي الذي يحاول فيها ناقد النقد صنع دلالات ثانية على الدلالة الأولى التي قدمها النقاد الذين اختاروا منهجًا بعينه وسيطًا لقراءاتهم للأعمال الإبداعية عامة.

نقد النقد وجدلية المصطلح/ المفهوم والموضوع:

تستخدم هذا الدراسة عددًا مختارًا من المفاهيم الخاصة بنقد النقد، والمفاهيم الأخرى المتعلقة به؛ لذا وددنا أن نبدأ بهذا التمهيد النظري من خلال مجموعة من المفاهيم التي صاغها منظرون ونقاد مشهود بكفاءتهم في نقد النقد، وهي مفاهيم تتعلق تعلقًا مباشرًا بنقد النقد، ومن تلك المفاهيم: العقل النقدي، والتكفير الناقد، والنقد الأدبي؛ ومن ثم ننطلق إلى مفاهيم نقد النقد أو النقد الشارح وإجراءاته المنهجية؛ **فالعقل النقدي** هو الدافع في الأساس إلى ممارسة نقد النقد، وهو "الذي لا يسلم بأي تقريد دون التساؤل أو الأمر عن قيمة هذا التقرير، سواءً من حيث مضمنونه (نقد داخلي) أو من حيث مصدره (نقد خارجي) على نحو أندر (في الجانب القبيح) هو الذي أميل إلى إبراز العيوب منه إلى المحاسن، أو إلى صنع شيء إيجابي بنفسه"[1]، فهو إذن عقل كثير التساؤل، مثير للجدل يسعى سعيًا حثيًا إلى الإجابة على التساؤلات التي تثار داخله حول العوامل التي أدت إلى دراسة هذا النوع الأدبي أولًا، ومن ثم محاولة الكشف عن جدوى هذه القراءة النقدية أو تللك في نقد نوع أدبي بعينه.

والعقل النقدي متعلق بـ "**التفكير الناقد**" وهو "الميل إلى التكفير العميق في المشاكل والمواضيع التي ترد ضمن مجال خبرة المرء، والإحاطة بنهج منطق الأسئلة وتعليلها، وبعض المهارات في تطبيق هذا النهج. ويدعو التفكير الناقد إلى بذل جهد مستمر لتفحص أي اعتقاد أو أي شكل مفترض من المعرفة في ضوء الدليل الذي يدعم ذلك الاعتقاد واستنتاجات أخرى تنتج عنه"[2]، ومن ثم السعي إلى تفنيد الآراء والمقولات والنظريات النقدية التي تصدى إلى مساءلتها وعرضها على ميزان المنهج النقدي المتبع؛ لمعرفة ما إذا كان هناك ثمَّ تمثل لهذا المنهج أو اعتبار هذه المقولات أو تلك مؤهلة للتطبيق على النوع

الأدبي المختار للدراسة أم لا، والعقل النقدي يعد أساسًا للتفكير النقدي بطبيعة الحال؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون هناك تفكير نقدي بدون امتلاك عقل ناقد يثير التساؤلات ويحاول الإجابة عنها بالكيفية التي ترضيه لتأتي النتائج بما يتناسب مع تلك التساؤلات من أدلة وحجج وبراهين ذات صلة أصيلة بتلك التساؤلات المثارة.

أما إذا أردنا أن نعرف **النقد الأدبي** فهناك مجموعة من المفاهيم الخاطئة المتعلقة به والتي لا تفرق أو تفصل بين العمل الإبداعي نفسه من ناحية، وبين صاحبه من ناحية أخرى، فمنها ما يسعى إلى إبراز النقاط السلبية في العمل الإبداعي دون السعي إلى استجلاء نقاط القوة التي تميز عملًا عن غيره، ومن ثم يظن متلقي النقد أو المبدع أنه -إن كان النقد سلبيًا في أغلبه نقاطه- موجه إلى المبدع نفسه، وهذا خطأ يقع فيه الكثيرون، ظنًا منهم أن العمل النقدي لا يعدو أن يكون رأيًا شخصيًا في شخص بعينه، قائمًا على هوى وليس على أسس علمية منهجية تعي ما تفعل، وحتى لا تكون هذه الرؤية غارقة في المثالية؛ فإن بعض الذين يتصدرون إلى قراءة أعمال إبداعية يبنون وجهات نظرهم على أسس غير علمية وأهواء نفسية ولا يمتلكون أدوات منهجية تؤهلهم إلى قراءة تلك الأعمال أو النصوص، وما ينتج عن تلك العملية لا يمكن تسميته نقدًا بأي حال من الأحوال، ربما يسمى أسماء أخرى كالرأي الانطباعي أو التحليل النفسي لنفسية الكاتب، أو ظروفه الاجتماعية؛ فكأن ما يكتب هو شيء في علم النفس أو الاجتماع أو غير ذلك من العلوم الإنسانية الأخرى، إن جاز لنا أن نسمي الانطابعات الشخصية علومًا، وهو بذلك يخرج من دائرة النقد الأدبي المنهجي إلى دوائر أخرى لا تمت إلى النقد الأدبي بصلة.

إننا نستطيع أن نحدد مفاهيم للنقد الأدبي بما يتوافق مع كونه علمًا وفنًا قائمًا بذاته وله أسس منهجية معتبرة، ذلك لقيمته في تطوير الفنون أو الأنواع الأدبية التي يدرسها، وتلك المهمة من أجل مهامه وأعلاها مرتبة، فلم يكن نجيب محفوظ ليحوز نوبل ما لم يلتفت إلى ما يكتب عن إنتاجه السردي. هناك مفاهيم كثيرة للنقد الأدبي؛ لكنني أرى أن أقربها إلى القول القائل بإن النقد إبداع على الإبداع أنه "نوع متطفل من التعبير الأدبي، فن يقوم على فن وجد قبله، محاكاة ثانية للقوة الخلاقة"[3]، وهو في الوقت نفسه

"خطاب تنتجه مؤسسة النقاد في لحظة تاريخية واجتماعية معينة، تحاول به الاستجابة للمتطلبات المتعددة التي يطرحها الواقع أو المجتمع، أو للمتطلبات التي تتصور تلك المؤسسة أن المجتمع يحتاجها"[4]، وإذا نظرنا إلى المفهومين السابقين للنقد الأدبي فيمكننا القول بأنه فن أقرب ما يكون إلى الأبداع، يتحاور معه وتنتجه مؤسسة النقاد –كما يسميها سامي سليمان- في استجابة لمتطلبات المجتمع حول نوع أدبي معين، والنقد الأدبي فن كما يقول جبرائيل سليمان جبور: "إنه فن تحاول فيه وأنت خال من الغرض والهوى أن تحكم على الأشياء الفنية الأدبية بعد فهم خصائصها ومزاياها، ثم تعرض للناس هذا الحكم بقالب فني أدبي. فهو ينطوي قبل كل شيء على فهم الأثر الأدبي وإدراك الجمال أو القبح الذي فيه، ثم ينتقل الناقد إلى إصدار الحكم وقد تجرد من ميوله ونزعاته الخاصة، ثم يصوغ هذا الحكم بعبارة فنية يعرضها على الناس"[5]، وهذا التعريف يجعل النقد الأدبي فنًا إلى جانب كونه علمًا مجردًا من النوازع البشرية المغرضة، وبعيدًا –في الوقت نفسه- من الميل إلى نوع أدبي أو ناقد بعينه، وما ينتج عن هذه العملية يكون بعبارات فنية أيضًا، فهو بذلك فن على الفن، أو كما نردد دائمًا: إبداع على الإبداع.

كما أن الهدف من وراء دراسة النقد الأدبي يكمن في "معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعية الأدبية أجيدة أم غير جيدة، فإذا كانت جيدة أو رديئة فما درجتها من الحسن أو القبح، ومعرفة الوسائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض علينا من الآثار الأدبية"[6]، ويتميز النقد الأدبي بأنه "نقد لا يكف عن مساءلة ذاته في فعل مساءة موضوعه، خصوصًا من حيث ما يقوم به هذا النقد من مراجعة مستمرة لمفاهيمه وتصوراته، ومحاسبة متصلة لإجراءاته وأدواته، تعميقًا لمجرى ممارسته أو تطويرًا لتقنياته، أو بحثًا عن أفق مغاير يعد بالمزيد من التقدم"[7]، وهو بذلك يعد فعلًا صيروري التساؤل والتطوير والبحث في بناء أنماط تسعى إلى إنتاج الدلالات المغايرة وغير التقليدية.

ثمة تعريفات ومفاهيم كثيرة **لنقد النقد**، يسعى هذا البحث إلى عرض أكثرها فاعلية وقربًا وتمثلًا لما يصلح ليكون مهادًا نظريًا وأساسًا للتطبيق على نقد الدراسات النقدية التي

اتخذت منهجًا نقديًا بعينه، وما يتوافق توافقًا منهجيًا مع دراسة هذا النوع من النقد، ومن تلك المفاهيم ما ساقه جابر عصفور الذي يرى أن نقد النقد هو "قول آخر عن النقد، يدور حول مراجعة القول النقدي ذاته، وفصحفه، وأعني مراجعة مصطلحات النقد، وبنيته المنطقية، ومبادئه الأساسية، وفرضياته التفسيرية، وأدواته الإجرائية"[8]، والتعريف السابق لا يدرس سوى مستوى واحد من مستويات نقد النقد التي وضع أسسها جابر عصفور نفسه في أكثر من كتاب، لا سيما كتابه "نظريات معاصرة"؛ لكن هذا المستوى هو المستوى الأكثر قدرة على الاشتباك مع النص النقدي، لنجده يعود ليعرفه بأنه "خطاب نقدي نظري عن طبيعة النقد وغاياته.. وهو الخطاب الذي ينزل العبارات النقدية منزلة الموضوع، ويضعها موضع المساءلة مختبرًا سلامتها المنطقية واتساقها الفكري، ويصعد منها إلى الأنساق التي تحتويها، محللًا أبعادها الوظيفية ودلالاتها التأويلية، مترجمها الأنساق إلى مقولات أو مبادئ تصورية تؤسس حضور النظرية"[9]، وإذا دمجنا المفهومين الأول والثاني لنقد النقد عند جابر عصفور؛ فإننا سنخلص إلى أنه نشاط فكري يسعى إلى مراجعة المقولات النقدية وفحصها واعتبار المقولات والنظريات النقدية المتعلقة بنوع أدبي معين موضوعًا للدرس النقدي، ومن ثم مساءلتها مساءلة منطقية، وتفسيرها بما يتوافق مع المنهج النقدي المتخذ أساسًا إجرائيًا ومنهجيًا لها، وبعد ذلك يأتي دور المرجعة الكلية لتلك الأفكار؛ لمعرفة مدى توافقها مع ما طبق على النوع الأدبي المدروس.

يرى سامي سليمان أحمد أن نقد النقد يعني "أن دراسة النصوص النقدية هي تأويل لها ينطلق من استنباط العلامات اللغوية والبحث عن دلالاتها، والسعي إلى اكتشاف العلاقات التي تربط بينها للوصول إلى دلالاتها التي يستطيع الناقد/ القارئ أن يصفها – اعتمادًا على التحليل الواصل بينها والمتابع لتحولاتها داخل النصوص- بأنها ذات دلالة شاملة على هوية تلك النصوص. ويتصل ذلك البحث المتأني عن المصطلحات التي ترد في النصوص – موضع الدراسة – والمنطلقات النظرية الأساسية فيها والعمليات التي يعتمدها منتجو الخطابات النقدية وسائل لتحويل صيغهم ومقولاتهم النقدية إلى

إجراءات عينية تهدف إلى تثبيتها – أي الصيغ والمقولات – في سياق الخطاب النقدي المنتج وفي سياق التلقي الاجتماعي للنقد"[10]، وهذا يعني محاولة استقصاء المصطلحات أو المقولات النقدية التي يستخدمها الناقد صاحب الدراسة النقدية الأولى التي يدرسها نقد النقد؛ لمعرفة واستكشاف مدى ملائمتها للمادة النقدية موضوع الدراسة، كما ترى نجوى القسطنطيني أن نقد النقد هو "خطاب يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية وأدواته التحليلية"[11]، وتضيف أيضًا أنه "باعتباره نشاطًا فكريًا نوعيًا، فهو قديم في مادته حديث في مصطلحه، له علاقة بكثير مما دارت حوله مناظرات العرب القدامى ومساجلاتهم، من قضايا أدبية وبلاغية ونقدية نظرية وتطبيقية لم نشك في دلالتها"[12]، وربما يكون يكون هذا الرأي محقًا؛ لكن ما قدمه العرب القدامى في مساجلاتهم يظل نمطًا انطباعيًا لا يقوم على أسس مهنجية تجعلنا نطلق عليه مثل هذه الأحكام.

إن مجال نقد النقد "في النقد يمثل، سواء أكان في شكل صياغة معرفية مكتملة أم شبه مكتملة، ضربًا من القراءة المواجهة لقراءة أخرى، مواجهة لا يمنع اختلاف درجاتها حدة ولطفا وبلوغها مرات كثيرة حد التملق والتزلف، مصادمة النقد فيها للنقد الآخر، من ثمة اتساع التأويل والشروح والتفاسير واختلاف التصورات والمقولات والخلفيات الفكرية والمنهجية، الحافزة على أن يصبح نقد النقد حفرًا في كيان النص النقدي وإقامة من ثمة في قلب التأويل"[13]، ويعنى هذا أن موضوع نقد النقد هو عرض المقولات النظرية والإجراءات المنهجية المستخدمة من قبل ناقد ما في دراسة نقدية ما على ميزان المنهج الذي صرح باستخدامه لقراءة النص المنقود؛ وربما لا تجد تصريحًا مباشرًا بأن المنهج المستخدم هو منهج ما بعينه؛ لكن المستويات الإجرائية العاملة داخل النص النقدي لا تشير إلى هذا المنهج أو تشيء بمنهج تلفيقي يقوم على أسس متنافرة.

إن ناقد النقد يعد مؤلفًا كما هو الحال مع كاتب النص الإبداعي المنقود والنص النقدي الأول أو المُتعرض له نقديًا، بل إنه يسعى إلى تجاوزه، كما يقول تودروف؛ لأن

الناقد "ينطلق كما المؤلف من نصوص موجودة مسبقًا؛ إذ إن الكتابة تأليفًا أم نقدًا ليست إلا تدخلًا نصيًا يلتزم به الطرفان وإن اختلف كل منهما في ذلك... حيث يبدو الأدب مرتبطًا بالإرث الأدبي وليس بالطبيعة..، فلا يمكن إنتاج الشعر إلا انطلاقًا من قصائد أخرى، ولا إنتاج الأدب إلا انطلاقًا من روايات أخرى"[14]، وهذا الأمر ينطبق بطبيعة الحال على نقد النقد؛ حيث إنه لا يمكن كتاب نقد نقد إلا إذا كانت هناك مادة نقدية مكتوبة في الأساس؛ وذلك لأن نقد النقد مكتوب كنص لا يشذ عن التداخلات النصية مثله مثل أي عمل تأليفي آخر، وبالتالي لا تشكل الكتابة في نقد النقد ضمن هذا المنظور خروجا عن المألوف، وعلى العكس من ذلك فإنه يعد إعلانًا صريحًا عن عملية الإنتاج الأدبي والنقدي نفسها مدى تميزها[15]. وناقد النقد بهذا المعنى هو متداخل بشكل أو بآخر مع النص الإبداعي قبل النقدي في الوقت نفسه؛ إذ يظن بعض نقاد النقد أنه مَعنيٌ فقط بالمادة النقدية موضوع الدراسة؛ لكنه ينبغي أن يشكل دلالة نقدية أولية عن المادة الإبداعية التي يدرسها الناقد الأول بالمنهج المستخدم نفسه، ومن ثم يشرع في درس المادة النقدية واضعًا نصب عينيه الدلالة أو القراءة الأولية التي استنبطها من خلال قراءة المادة الإبداعية، ساعيًا إلى تكون دلالة ثالثة بعد قراءته الأولى الأولية، ثم قراءة الناقد الأدبي الثانية؛ وذلك؛ لأن ناقد النقد "يواجه النص النقدي بحمولة معرفية قلبية، فيظهر ممتلكًا لمعرفية نظرية مرتبطة بالأجناس الأدبية، وبطبعية الفاعلية في الممارسة النقدية (النقاد) وبأنواع الخطابات النقدية، وما يستدعيه ذلك من معارف تهم آلياتها التنظيمية وخلفياتها الفلسفية وأجهزتها المفاهيمية وإطاراتها المنهجية"[16]، حتى تخرج الدراسة النقدية في نقد النقد بالصورة المثلى التي يرجى لها أن تكون، وبالكيفية التي تجعلها أكثر منهجية وانضباطًا.

نقد النقد/ الموضوع والإجراءات، وطريقة اشتغاله في النص النقدي:

يتعلق موضوع نقد النقد بموضوع النقد الأدبي نفسه، حيث "إن موضوع النقد الأدبي يتضمن عنصرًا واحدًا هو دراسة الأعمال الأدبية وطرق تلقيها وتذوقها، أما حين نطبق هذه القاعدة على نقد النقد؛ فسنجد أن موضوع نقد النقد يتضمن عنصرين

مختلفين: أولهما النقد الأدبي في مستوييه النظري والتطبيقي، وثانيهما الأعمال الأدبية، وهذا التصنيف يعبر عن تراتبية حقيقية. وهذا يعني أن موضوع نقد النقد أوسع من موضوع النقد الأدبي؛ لأن النقد الأدبي نفسه يقع ضمن موضوع نقد النقد"[17]، كما تدفع قراءة نقد النقد المتعرض للنص النقدي سواء أكان منتجًا أم غير منتج، إلى العودة إلى النص الأدبي، وإلى النقد الذي كتب حوله، كي يتوصل إلى تكوين تصور منصف لكل ما كتب، بعد أن يعيد طرح الأسئلة المعرفية المرتبطة بهما[18]، لكن ربما تواجه ناقد النقد المتصدي لعملية المراجعة النقدية مشكلة عدم الوقوف على دراسات للمادة الإبداعية نفسها بالمنهج النقدي نفسه أو حتى بغيره، وفي هذه الحالة يكون الرجوع إلى ما كتب حولها تضييعًا للوقت والجهد وتشتيتا لناقد النقد نفسه.

إن نقد النقد بوصفه عملًا قائمًا بالأساس على دراسة الأعمال النقدية ليس جديدًا على الدراسات النقدية بشكل عام، فهناك كثيرون قدموا تصورات نظرية وتطبيقية حول آليات عمل نقد النقد واشتغاله في النص النقدي، ومن النقاد المعتبرين الذين نظروا أو نقلوا من الكتابات الأجنبينة، وطبقوا آليات بعينها خاصة بنقد النقد جابر عصفور وحميد لحميداني، وكل منهما له آليات التي تتشابه وتختلف مع الآخر في أحيان كثيرة، وقد صرح لحميداني أنه نقل إجراءاته المنهجية الخاصة بنقد النقد من الناقدة الفرنسية "جوهانا ناتالي johanna natali "؛ كما استفاد من أسسها التطبيقية أيضًا، إذ يقول: "وضعت الباحثة الأبستيمولوجية "جوهانا ناتالي johanna natali " في مقال نقدي لها يناقش الدراسات النقدية التي تناولت قطط بودلير بالتحليل سمته (مسائل فى المنهج) والواقع أنها حددت فيه بعض المبادئ الأولية التي ينبغي أن يتوفر عليها كل دارس للنصوص النقدية مهما كان النوع الأدبي الذي تتخذه هذه النصوص موضوعا لها؛ لذلك وجدنا من الضروري الاستفادة من هذه المبادئ التي ستساعدنا في ضبط التعامل مع دراسات نقد الرواية التي نختارها في الجانب التطبيقي"[19]، ويقسم لحميداني مستويات نقد النقد –بحسب جوهانا ناتالي- إلى ثلاثة مستويات، ويرى أن لكل دارس يتناول

نصوصًا نقدية تباشر تحليل أعمال إبداعية أن يتساءل بصدد ثلاثة قضايا جوهرية، هي: الأهداف، وهي تقتضي التساؤل والبحث عن غايات الناقد من إقدمه على تحليل النص وتحديد رؤيته المنهجية، وذلك لأن المناهج تختلف في تركيزها على جوانب النصوص المدروسة، فمنها من يوجه اهتمامه إلى ذات الكاتب، ومنها ما يركز على الدلالة الاجتماعية والتاريخية أو مكونات النص الداخلية، والمستوى الثاني هو مستوى المتن، ويعني تحديد المتن المدروس من قبل الناقد، ما يعتبر عملية أساسية في مجال نقد النقد؛ لأن التصور النقدي قد يحدد هو نفسه المتن الذي يشتغل عليه، لكن الجانب التطبيقي قد تجاوزه إلى نصوص كثيرة أخرى تتقاطع معه، وهو ما يجعل التحليل مفتوحًا على الدوام، خصوصًا إذا لجأ الناقد إلى المقارنة، والمستوى الثالث هو الممارسة النقدية، ويرى فيها لحميدان أنه ليس من الضروري أن تكون ممارسة الناقد للتحليل مطابقة تمامًا للأطروحات المنهجية المعبر عنها في المقدمة، وفيه يتم استبيان مدى مطابقة خطوات التحليل المباشر للنصوص الأدبية مع الاقتراحات النظرية، وهل هناك استفادة من مناهج أخرى، أو تقصير أو خطأ في التطبيق؟[20].

تجاوز لحميداني فكرة مستويات تحليل النصوص النقدية إلى مراجعة وتحديد أهم العمليات والتقنيات التي يقوم بها الناقد الأدبي أثناء تحليل ودراسة الأعمال الإبداعية، ولخصها في أربعة تقنيات، هي: الوصف، وهو التحدث عن السرد والأبطال والصراع بينهم وعن الحبكة وتركيبة الزمن وصورة المكان والأسلوب هذا في السرد، وكذلك التحدث عن مكونات النص إذا كان شعرًا، والتقنية الثانية هي التنظيم، وهي وضع ملامح مميزة للنص المدروس، وهذه التقنية تقوم على مباشرة تحليل النصوص؛ لكنها تتداخل مع الوصف في الوقت نفسها، ثم يأتي التأويل بوصفه مرحلة ثالثة في تحليل النصوص، وأخيرًا مرحلة التقويم الجمالي، وهو يستند إلى مقاييس علم الجمال أو إلى بعض الخصائص التي استخرجت من نصوص شعرية أو روائية سابقة، وقد يلجأ الناقد في هذه المرحلة إلى مقارنة نصوص سردية مع نصوص سردية أخرى لقيت رواجًا ونجاحًا في السياق النقد والثقافي بوجه عام[21]، وأرى أن حميد لحميدان بعرضه وتبينه لهذا النمط من القراءة

النقدية للنقد الأدبي الذي يشتغل عليه نقد النقد يوجه الناقد الأدبي لأنماط معينة من الدراسات القائمة على تقنيات نقلها من جوهانا ناتالي، ولم يلتفت إلى أنه ينبغي أن يبني ناقد النقد رؤية نقدية أدبية عن العمل الإبداعي قبل الولوج إلى دراسة النص النقدي، ليشكل قراءة ثالثة للعمل الإبداعي نفسه.

أما جابر عصفور فيقسم نقد النقد/ النقد الشارح إلى مستويات؛ **المستوى الأول هو المستوى الألصق بالنقد التطبيقي**، ويبدأ هذا النوع في تحويل الخطاب النقدي إلى موضوع لمساءلته، طارحًا أسئلة من قبيل: كيف انتهى الناقد إلى تفسيره ذلك؟ وما علاقته بالحكم على قيمتها التفسيرية الجمالية ومكانته الأدبية؟ وأي نوع من الدلائل يدعم التفسير والكمن، وهل صيغ مفهوم النموذج الأعلى في العمل الأدبي سببًا للحكم عليه بالقيمة؟ وكيف ترتد قيمة تجسيد النموذج إلى علاقة الخاص والعام؟ وما نوع هذه العلاقة التي يراها النقد في النص أساسًا لبناء النموذج الأعلى؟ وما دلالة الإلحاح على هذا النموذج دون غيره في فهم الأعمال الأدبية؟ وهل لهذا الإلحاح صلة بعالم النقد وسياقه الثقافي؟، وهل ينبئ عن رؤية خاصة بالناقد أو عن رؤية نقدية سائدة؟ وما علاقة هذه الرؤية بعلاقات إنتاج المعرفة النقدية المتاحة؟ وعندما تتحول أسئلة الناقد التطبيقي إلى إجابات كاشفة يصوغها الخطاب النقدي في إشاراته المباشرة إلى نص أدبي بعينه أو مجموعة نصوص، ينتهي عمل النقد التطبيقي[22].

أما المستوى الثاني فهو **مستوى تفسيري**، لأن فعل الاستنطاق الذي يقوم به هذا النقد هو فعل تأويلي في جانب منه؛ فهو قراءة تبحث عن دلالة في قراءة وجدت دلالة، وهو محاولة اكتشاف عناصر تكونية لخطاب نقد تطبيقي بواسطة تفكيك هذا الخطاب إلى عناصر بنائية على نحو يعيد وصل هذه العناصر في علاقات، تنطق معنى الخطاب ودلالته على العام التاريخي للناقد/ القارئ في علاقته بالعالم التاريخي للنص المقروء[23]، وهذا المستوى وصفه جابر عصفور بأنه يدخل في باب البحث عن بويطيقا نقدية لناقد واحد أو مجموعة من النقاد.

المستوى الثالث والأخير من مستويات نقد النقد هو مستوى **المراجعة الكلية**، وهو الذي يقوم بدور التأصيل على المستوى المنهجي الخالص، في نوع من المراجعة الكلية التي تنشغل بالمفاهيم والتصورات النقدية الكبرى التي فرغ منها التنظير وانطلقت الممارسات النقدية من التسليم بها، وتكشف تلك المراجعة عن المبادئ التصورية الفاعلة في الممارسة النقدية على نحو يؤدى إلى تعميق واستكمال لوازمها وتوابعها وأحكام إجراءتها وأدواتها، أو تفضي المراجعة إلى الكشف عن جمود هذه المبادئ وتخلفها عن اللحاق بالمتغيرات المتسارعة المتلاحقة في الواقع الفعلي لسياقات الممارسة والتنظير[24]، ومستوى المراجعة يقوم في جانب منه على التأمل الذي ربما يكشف أنظمة تحتية تحول التنافر أو صعوبة الفهم إلى شيء آخر قابل للفهم، وهي تعمل على تأمل مدى تقارب أو تباعد العناصر المشكلة لعناصر العمل النقدي عن غيرها من الأنظمة، كما تعمل أيضًا على ملاحظة قرب هذه الأنظمة إلى الأقول النقدية أو بعدها عن النصوص الإبداعية المدروسة، كما ينبغي ألا تتم هذه المراجعة إلا إذا تعاملنا مع النص الإبداعي المنقود باعتباره نظامًا مستقلًا عن الأنظمة النقدية التي تدرسه[25].

خاتمة:

بناء على السابق؛ فإن مستويات نقد النقد بحسب جابر عصفور هي ثلاثة مستويات؛ مستوى التساؤل، والمستوى التفسيري، وأخيرًا مستوى المراجعة الكلية، وتبقى الإشارة هنا إلى أن جابر عصفور قد أطلق مصطلحًا آخر يوزاي نقد النقد وهو مصطلح "ما بعد النقد"، في دراسته "قراءة في نقاد نجيب محفوظ"[26]. فإذا كان نقد النقد يُعنى بدراسة المواد النقدية التطبيقية –غالبًا- والنظرية أحيانًا؛ فإن ثمة معرفة نقدية تنتج عن تلك الدراسات؛ لا سيما إن كانت تنظر بعين الاعتبار لما وصل إليه النقد الشارح في سياق لحظة تاريخية ثقافية بعينها، ساعيًا إلى تقييمها تقييما علميًا سليمًا، على أسس معتبرة لا تغفل أي مكون من مكونات تلك العملية، ومن ثم؛ فإن هذا المنتج لا ينبغي أن يُغفل في سياق عملية إنتاج المعرفة النقدية المتعلقة به، وإذا كان نقد النقد يعتمد في المقام الأول على عقل ناقد يعي ضرورة مراجعة الأقوال النقدية المستخدمة في سياقات

التطبيق، فإن المعرفة التي تقوم على أسس سليمة تستلزم امتلاك أدوات تعين على إنتاج معرفة نقدية سليمة أيضًا.

قائمة الإحالات:

1 - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت-باريس، الطبعة الثانية، 2001، ص238

2 - آلك فشر، التفكير الناقد، تعريب: د. ياسر العيتي، دار السيد للنشر، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الرياض، 2009، ص16.

3 - نورثرب فراي، تشريح النقد: محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، عمان الأردن، 1991، ص3.

4 - سامي سليمان أحمد، الخطاب النقدي والأيديولوجيا: دراسة للنقد المسرحي عند نقاد الاتجاه الاجتماعي في مصر (1945 – 1967)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص32.

5 - جبرائيل سليمان جبور، كيف أفهم النقد: نقد ورد، منشورات دار فا الجديدة، بيروت، لبنان، 1983، ص 17.

6 - أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص13.

7 - جابر عصفور، نظريات معاصرة،، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص .9

3- جابر عصفور، قراءة في نقاد نجيب محفوظ، ملاحظات أولية، فصول، م1، ع 3 ، أبريل، 1981، 164.

9 - جابر عصفور، نظريات معاصرة، مرجع سابق، ص 287.

10 - سامي سليمان أحمد، حفريات نقدية، دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006، ص.10

11- نجوى الرياحي القسطنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 38 يوليو/ سبتمبر 2009، ص.35

12- المرجع السابق، ص.51

13- نجوى الرياحي القسطنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مرجع سابق، ص37.

14 - تزفيتان تودروف، نقد النقد، رواية تعلم، ترجمة: سامي سويدان، الطبعة الثانية، دار الشئون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1996، ص 5.

15 - انظر: تزفيتان تودوروف، نقد النقد، مرجع سابق، ص5.

16 - عبد الرحمن التمارة، نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2017، ص.24

17- باقر جاسم محمد، نقد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثالث، المجلد 37، يناير/ مارس 2009، ص .118

18- انظر: المرجع السابق، ص 119- 120.

19 - حميد لحميداني، سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، ط2، مطبعة "تفو –برانت"، فاس، المغرب، 2014، ص 17. جدير بالذكر أن الطبعة الأولى من هذه الكتاب صدرت سنة 1990 عن منشورات دراسات سيميائية أدبية ولسانية، دراسات سال، فاس المغرب، وهذا يعني أن هذا المرجع سابق على المرجع الذي اعتمدنا عليه بشكل أساسي، وهو كتاب نظريات معاصرة لجابر عصفور، الذي صدر في ثلاثة طبعات، الأولى بالأردن 1997، والثانية في مكتبة الأسرة 1998، والثالثة بالهيئة العام للكتاب بالقاهرة 2022.

20 - انظر: حميد لحميدان، سحر الموضوع ، مرجع سابق، ص 17 – 19.

21 - انظر: حميد لحميداني، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص 19 – 22.

22 - انظر: جابر عصفور، نظريات معاصرة،، مرجع سابق، ص 287، 288.

23 - انظر: المرجع السابق، ص293.

24 - انظر: المرجع السابق، ص296.

25 - انظر: جابر عصفور، قراءة في نقاد نجيب محفوظ، ملاحظات أولية، مرجع سابق، ص 16.

26 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.